معالم منهجية في التعامل مع الناس بواقعية

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:
فهذه معالم شرعية منهجية يستحضرها المرء في التعامل مع عموم الناس تعاملا وسطا بعيدا عن المثالية، أو الإفراط أو التفريط، والله أسأل السداد والتوفيق.

المعلم الأول:
لا يوجد إنسان معصوم من الخطأ، ومن خلال هذا المعلم لا تتعامل مع الناس بمثالية، بل كما قال صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ».
وكما قيل: لا تتخذ لك أخا بشرط ألا يخطئ، وإذا أخطأ أخوك مرة فأنهيت ما بينك وبينه - كأن شرطك في أخوته ألا يخطئ - فلن تجد لك أخا إذن، وأنت أيضا لا تصلح للأخوة بهذا الشرط؛ لأنك لست معصوما كما أن غيرك ليس بمعصوم.

المعلم الثاني:
بقاء الأخوة الإيمانية، ومقتضى هذا المعلم أن الأخوة الإيمانية من المحبة والنصرة لا تنتفي إلا بانتفاء الإيمان بالكلية، ولا تنتفي بالبدعة والمعصية.
وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "على المؤمن أن يعادي في الله ويوالي في الله، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه. فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية". [الحجرات:٩]. فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي، وأمر بالإصلاح بينهم. {قال تعالى: { {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا
فليتدبر المؤمن: أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك.

المعلم الثالث:
النظر إلى الناس نظرة تفاؤل لا نظرة يأس؛ لأن اليأس يقعدك عن العمل والنصح، فيزيد بذلك الشر، والتفاؤل يبعثك على العمل فيزيد بذلك الخير.
ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ الْفَأْلُ الْحَسَنُ».

المعلم الرابع:
. أن تعلم أن النقص في جوانب من الخير في الناس لا يعني انعدام الخير في جوانب أخرى
ففي الحديث عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، «أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا، فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : اللَّهُمَّ الْعَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إلا أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)».

المعلم الخامس:
النظر إلى الخير في الناس، وإلى الخير الراجح في كثير من الجوانب، من الأخوة الإيمانية والإيمان، ومحبة الله ورسوله، وغير ذلك.
قال الإمام عبد الله بن المبارك - رحمه الله تعالى -: "إذا غَلَبَتْ مَحاسن الرّجُل على مساوئه، لم تُذكر المساوئ، وإذا غلبت المساوئ على المحاسن لم تذكر المحاسن". سير أعلام النبلاء (٦/٤٩٩).
وكما قيل: وإذا الحبيب أتى بذنب واحد *** جاءت محاسنه بألف شفيع.

المعلم السادس:
التعامل مع أخطاء الناس بإيجابية.

ففي الحديث عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: «جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي طَائِفَةِ الْمَسْجِدِ، فَزَجَرَهُ النَّاسُ، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا قَضَى بَوْلَهُ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَنُوبٍ مِنْ مَاءٍ فَأُهْرِيقَ عَلَيْهِ».

الخاتمة:

هذه المعالم تجعل العبد والداعية إلى الله تعالى يتعامل مع الناس بواقعية وإيجابية، لا بمثالية تجعله ينحو نحو اعتزال الناس وتركهم، أو مواجهتهم بغير الحكمة والموعظة الحسنة.

فالحمد الله على فضله وإحسانه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين

.

مختصر من مقال الكاتب : يزن الغانم.